لقد خلّفت الحضارة الإسلامية على مرّ القرون الطويلة كما هائلا من التراث العلمي المكتوب والمدون على الرق والورق والبَرْدِي، وقُضِيَ على عدد كبير من المخطوطات نتيجة الحروب والكوارث الطبيعية والعصبيات الضيقة؛ وسرقت أعداد من المخطوطات العربية والإسلامية، واستقر بها الحال في مكتبات أوروبا وأمريكا وآسيا؛ فوجد المستشرقون والباحثون الغربيون ضالتهم في هذا التراث الذي جمع على عين الاستعمار، فأوْلَوه اهتمامهم وعنايتهم دراسة وتحقيقا ومعالجة وتحليلا.

كما أنشئت المراكز البحثية العالمية التي تعتني بالمخطوطات وصيانتها، وصارت الكوديكولوجيا والفلولولوجيا علمين مستقلين يدرسان في كبرى الجامعات العالمية وتعقد من أجله الندوات والمحاضرات.

إن الدراسة الكوديكولوجية تتطلب الفحص المباشر للمخطوطات وأخذ عينات منها لإخضاعها للتحاليل المخبرية؛ لأن الصورة والنسخة المنقولة عن المخطوط الأصلي لا تقدم تعريفا واضحا عن مادة الورق أو الرق وعن حجمه، ولا عن المداد الذي كتب به المخطوط وعن حجم المجلد وعدد كراساته ودراسة مسطرته وتذهيبه والتجليد وتقنياته؛ فالدراسة الكوديكولوجية تتوقف على الفحص المباشر على المخطوط الأصلي.

والمكتبات الغربية بحكم اشتمالها على تنوع في المخطوطات وموضوعاتها والأماكن التي جلبت منها واختلاف مراحلها الزمنية؛ ساعدت على إعطاء دراسة متكاملة عن تاريخ الكتاب المخطوط بالحرف العربي مما تفتقر إليه كثير من المكتبات العربية؛ لأن مخطوطاتها في الغالب الأعم ذات خصوصية مكانية وزمانية محددة.

ماهية علم الكتاب المخطوط.

علم المخطوطات (Codicology) هو دراسة الكتب كأشياء مادية؛ وخاصة المخطوطات المكتوبة على الرق التي هي على شكل المخطوطات المأثورة أو الأسفار القديمة Codex وغالبا ما يشار إليها باسم علم آثار الكتاب، حيث يهتم هذا العلم بالمواد والطرق المستخدمة في صناعة الكتب وتجليدها.

ويدرس هذا العلم المخطوطات في مظهرها المادي؛ وقد نشأ في فرنسا، وتحديدًا في مدينة باريس خلال العقدَين الثالث والرابع من القرن العشرين. ويعود تأسيسه إلى كلّ من شارل سارامن (Charles Samaran) وألفونس دان (Alphonse Dain). فابتكر الأوّل مصطلح كوديغرافيّا "Codigraphie" بدون أن يحدّد بشكل دقيق معناه؛ أمّا دان فابتكر المصطلح الثاني "Codicologie" (علم المخطوطات) واستعمله أوّل مرّة سنة 1944، خلال إعطائه دروسًا في مادّة علم اللغة اليونانيّة (Philologie grecque)، وبقي المصطلح غير متداول إلى سنة 1949، حيث نشر كتابه الشهير الذي حمل عنوان "المخطوطات" (Les manuscrits)، وأعلن فيه ابتكاره لهذا المصطلح؛ وحدّد معنى المصطلح الجديد.

ويشتقّ مصطلح كوديكولوجيّا من الكلمتَين: كودكس " Codex" اللاتينيّة التي تعني مجموعة كرّاسات مجموعة في مجلّد واحد ولها غلاف خارجيّ، ولوغيّا " Logia" اليونانيّة وتعني بالمعنى الضيّق "الكلام" وبالمعنى الواسع "علم".

وللكوديكولوجيّا تحديدان:

الأوّل: ضيّق (stricto sensu) ويُعرف بعلم آثار الكتاب، واختصاصه دراسة المخطوطات من النواحي الخارجيّة كالشكل ونوع الورق ونوع الحبر وطريق التجليد....الخ.

والثاني: أوسع (lato sensu) يدرس تاريخ المخطوط ومحتواه وأهميّته الواقعيّة بالنسبة إلى الناس؛ أمّا الاهتمام بهذا النوع من الدراسة والعلم فقد ظهر في ألمانيا، وعُرف باسم "علم المخطوطات" أو "فنّ المخطوطات".1

وعرّفه أيمن فؤاد سيد؛ بقوله: "علم خاص بدراسة الشكل المادي للمخطوطات".[2]

كما عرفه فرانسوا ديروش؛ بقوله:"دراسة الكتاب أو علم الكتاب".[3]

اهتمام الغرب بعلم المخطوط.

لقد اهتم الغربيون بالتأليف في علم المخطوط بالحرف العربي؛ أمثال: جنيفر هامبرت وآدم كساك وفرانسيس رشارد وفرانسوا ديروش وجون جست وتكام؛ فقد اهتم هؤلاء وغيرهم بوجه خاص بدراسة الشكل المادي للمخطوط والظروف التي أنتج فيها، وتتطلب هذه الدراسة تضافر الجهود بين الدراسات الإنسانية والدراسات المعملية (الكيميائية والفيزيائية)، كما تتطلب إجراء تجارب وتحاليل على عينات مأخوذة من الحوامل(البردي والرق والكاغذ)، وكذلك على الأحبار والألوان والأصباغ المستخدمة؛ ثم تمتد هذه الفحوص لتشمل نماذج من مكتبات ومجموعات مختلفة تغطي مساحات وفترات زمنية ممتدة.

ولابد في هذه الدراسة من معرفة كبيرة بحركة الكتاب الإسلامي وعلاقات الكتب بعضها ببعض، وخطوط العلماء وعلامات التملك والوقف والمطالعات والمقابلات والسماعات والقراءات.[1]

اهتمام العرب بعلم المخطوط.

" إن الكتاب من حيث مادته ومحتواه قد لقي عناية كبيرة من الباحثين والدارسين شملته في جميع مراحل تاريخه وتطوره منذ النشأة الأولى للتدوين...أما من حيث بنائه وتكوينه وصناعته فإن أحدا لم يلتفت إليه ولم يُعْنَ به، على اعتبار أن قيمة الكتب وأهميتها تكمن فيما يُدَوَّنُ في بطونها من علوم الدنيا والدين؛ أما كيف تدون هذه العلوم وتحفظ تلك المدونات بطريقة تكفل لها البقاء لأطول فترة ممكنة من الزمن؛ فذلك ما لم يحظ من الباحثين(العرب) بعناية واهتمام".[2]

لقد ركز الباحثون العرب على دراسة خوارج النص؛ كحرود المتن والتملُّكَاتِ وعلامات الوقف، وما سجل على المخطوط من مطالعات وفوائد، وكذا الشهادات العلمية كالسماعات والقراءات والإجازات؛ والباحثون المسلمون الذين أسهموا في هذه الدراسات منهم: إبراهيم شبوح وأحمد شوقي بنبين وإيرج أفشار وعبد الستار الحلوجي وقاسم السامرائي ونجيب مايل هروي.

بدأت كوديكولوجية المخطوط بالحرف العربي متأخرة عن كوديكولوجية المخطوطات اليونانية واللاتينية؛ فقد عقد سنة 1986م أول مؤتمر عن كوديكولوجية مخطوطات الشرق الأوسط في إسطنبول، من تنظيم الباحث فرانسوا ديروش؛ ثم عقد مؤتمر علم المخطوطات الشرقية في الرباط سنة

1992م، ثم في لندن سنة 1993م، ثم في باريس سنة 1994م، وفي بولونيا بإيطاليا سنة 2000م و2002م؛ وصدرت في سان بيطرسبورغ سنة 1995م مجلة متخصصة باسم: Manuscripa Orientalia، كما صدرت في طهران سنة 2000م، مجلة: نامه بهارستان؛ وهي مجلة إيرانية تُعْنَى بدراسة المخطوطات الإسلامية.[1]

أما مؤلفات المتقدمين ممن اهتم بصناعة الكتاب العربي المخطوط والتعريف بهذه الصناعة؛ فنذكر منها:

1. عُمْدَةُ الكُتَّابِ وعُدَّةُ ذَوِي الأَلْبَابِ؛ لمؤلف مجهول ألفه للأمير المعز بن باديس الصنهاجي أو لابنه .[2]

قال في مقدمته:"فإني جمعت في هذا الكتاب المسمى عمدة الكُتَّاب وعُدَّةُ ذوي الألباب ما لا غنى للكاتب عنه من الصنائع، وما يتعلق بالكتابة من الغرائب والبدائع، وما جربته وانتخبته واستملحته مما لا يسع الكاتب تركه وإهماله، وتكمل الكتابة بتعلمه وإتقانه".[3]

2. المخترَعُ في فُنُونٍ منَ الصَّنَعِ؛ للملك اليمني المظفر يوسف بن عمر بن علي الرسولي (ت694هـ/1294م)؛ استوعب فيه الأبواب العشرة الأولى من كتاب عمدة الكتاب.[4]
3. الأَزْهَارُ في عَمَلِ الأَحْبَارِ؛ لمحمد بن ميمون بن عمران المراكشي الحميري؛ ألفه في المدرسة المستنصرية ببغداد سنة 649هـ/1251م، وقسمه إلى 27 مقالة أنجز منها ستة مقالات.[5]
4. تُحَفُ الخَوَاصِّ في طُرَفِ الخَوَاصِّ؛ لأبي بكر محمد بن محمد بن إدريس القضاعي القَلَّوْسِي(ت707هـ/1307م)؛ وقد نوه به لسان الدين ابن الخطيب السلماني [6]، والكتاب

مقسم إلى ثلاثة أقسام: ذكر في الأول منها كيفية صناعة الأمدَّة، وفي الثاني كيفية محو المداد من الدفاتر والثياب، وفي الثالث ذكر فيه فوائد خاصة بالأصباغ وطرق تركيبها.[1]

5. التَّيْسِيرُ فِي صِنَاعَةِ التَّسْفِيرِ؛ لبكر بن إبراهيم الإشبيلي(ت 628هـ/1231م)؛ وهو كتاب يشرح فيه صاحبه الخطوات التي يمر بها تجليد الكتاب.[2]

6. أرجوزة تَدْبِيرِ السَّفِيرِ في صِنَاعَةِ التَّسْفِيرِ؛ لابن أبي حميدة الذي عاش في القرن العاشر الهجري.[3]

7. صِنَاعَةُ تَسْفِيرِ الكُتُبِ وحَلِّ الذَّهَبِ؛ لأبي العباس أحمد بن محمد السفياني؛ كتبها سنة 1029هـ/1616م.[4]

أما جهود المعاصرين؛ فمنها:

8. محمد المنوني ، تاريخ الوِرَاقة المغربية – صناعة المخطوط المغربي من العصر الوسيط إلى الفترة المعاصرة.[5]

9. نحو علم مخطوطات عربي؛ لعبد الستار الحلوجي.[6]

10. الكتاب العربي المخطوط وعلم المخطوطات؛ لأيمن فؤاد سيد.[7]

11. معجم مصطلحات المخطوط العربي – قاموس كوديكولوجي، أحمد شوقي بنبين – مصطفى الطوبي.[8]

12. ما المخطوط؛ لأحمد شوقي بنبين.[9]

أهمية علم المخطوط.

تكمن قيمة وأهمية علم الكتاب العربي المخطوط في كونه وعاء احتفظ بنتاج الفكر العربي الوسيط والفكر الإغريقي القديم مترجما إلى لغة العرب؛ فعمد الغرب إلى ترجمة الكتب من العربية إلى لغاته، ولم يكتف الأوروبيون بالنقل من العربية إلى لغتهم، بل وجدوا أمامهم ألوانا من الفن العربي الإسلامي في صناعة الكتاب وزخرفته وتجليده وتذهيبه، فنقلوها إلى بلادهم؛ فكان فن التذهيب أول الفنون التي تعلمها الإيطاليون قبل كل شيء من أساتذتهم المسلمين كما يقول سفندال.[2]

يقول فرنسوا ديروش:"إن اهتمام عالم المخطوطات ينصب على الكوديكس أو الكتاب الرأسي؛ ويفسَّر هذا الاهتمام باستعادة الانتباه خلال القرن العشرين بالفائدة التي يمكن أن يقدمها الكتاب وتاريخه بوجه خاص؛ إن تاريخ الكتاب، كما أظهرت الأبحاث لا يمكن فصله في الواقع عن تاريخ النص الذي يمثل المطبوع أو المخطوط حاملا له، وبعيدا عن الاختلاط مع النص فإنه يسمح بتوضيح تاريخ الفترة التي أنجز فيها الكتاب".[3]

ويرسم ديروش الأهداف التي ينبغي أن يتطور إليها علم المخطوطات؛ وتتمثل في اتجاهين اثنين؛ الأول دراسة مجموع التقنيات المستخدمة في صناعة المخطوط إلى أقصى ما يمكن من الدقة.
والاتجاه الثاني: هو جمع المعطيات التي يمكن بها بناء تاريخ الكتاب المخطوط بالحرف العربي كانعكاس صادق للظروف الفكرية والاجتماعية والاقتصادية والتقنية التي ولد فيها.[4]

ترجمة فرانسوا ديروش (FRANCOIS DEROCHE).

أنهى ديروش دراسته الثانوية في نانسي، ثم دَرَسَ بمدرسة المعلِّمِينَ العليا بباريس بين عامي 1973م و1978م اللغات السامية والآثار وكذا الدراسات الكلاسيكية، ثم اجتاز درجة الإجازة في هذا المجال، كما حصل على الدكتوراه في نقوش العلا الحديثة بشمال غرب الجزيرة العربية عام 1987م.

عين سنة 1979م عضوا بالهيئة العلمية للمكتبة الوطنية بباريس، وساهم في إعداد فهرس المخطوطات العربية؛ استكمل دراسته للمخطوطات العربية في استنبول.
انتخب سنة 1990م مدير دراسات بالمدرسة التطبيقية للدراسات العليا بباريس في قسم التاريخ والفيلولوجية؛ حيث يدرس تاريخ وكوديكولوجية الكتاب العربي المخطوط.
قام بإنجاز فهرس المخطوطات القرآنية بالمكتبة الوطنية بباريس سنة 1985/1983م.
ونشر تقاليد المصاحف العباسية من القرن الثامن إلى القرن العاشر الميلادي سنة 1989م.
ودراسة عن مصحف صفوي بمتحف الفن الإسلامي ببرلين سنة 1999م.
ونسخة طبق الأصل لقطعتين من مصحفين مبكرين يرجع تأريخهما إلى النصف الثاني من القرن الأول الهجري.

ونشر أعمال ثلاثة مؤتمرات عن المخطوطات والكوديكولوجيا. انتخب سنة 2001م عضوا مراسلا بمجمع النقوش والآداب بباريس؛ وهو رئيس المؤتمر الدولي للفن التركي ، وعضو المجلس العلمي لمؤسسة ماكس فان برشم بجنيف، ومجلس الفرقان للمحافظة على التراث الإسلامي المكتوب ببريطانيا.[1]

وصف كتاب: المدخل إلى علم المخطوط بالحرف العربي.

قسم فرانسوا ديروش دراسته إلى مدخل و 11 فصلا؛ لم ينفرد بتأليفها بنفسه، بل ساعده فيها بعض الباحثين من مكتبات فرنسا وبريطانيا وغيرهما؛ وذيل كتابه بمجموعة من الفهارس والكشافات العلمية كما سنبينه فيما يلي.

ففي مدخل الدراسة تناول ديروش تطور شكل الكتاب حتى استقر على الشكل المعروف حاليا ب CODEX، ومكانة علم المخطوطات"الكوديكولوجيا" في دراسة المخطوطات، كما تطرق كل من برنارد جينو وجون فزان إلى المناهج المعملية المتبعة في هذه الدراسة.[2]

وأما الفصل الأول؛ فقد تناول فيه ديروش دراسة الحوامل أو مواد الكتابة"البَرْدِيُّ والرَقُّ" وتحدث عن الأصل النباتي للبردي وكيفية صناعته واستخدامه في المخطوطات العربية وطرق حفظها؛ والفترة التي توقف فيها استعماله مع ظهور الكاغذ؛ وتكلفة البردي المرتفعة لأنه يجلب من مناطق معينة؛ كما

أشار ديروش إلى كيفية صناعة الرق وخصائصه وذكر نماذج من مصاحف ومخطوطات من المكتبة الوطنية الفرنسية؛ وأشار إلى الاستخدامات المختلفة للرق وعيوبه ومزاياه والطرق المخبرية لفحصه.[1]

وأما الفصل الثاني الذي كتبه فرانسيس ريشارد؛ فقد ناقش فيه استعمال الكاغد أو الورد الذي حل محل البردي والرَّقِّ، الذي انتقل استخدامه عند المسلمين عن طريق الصينيين الذين أسروا في موقعة طَرَاز سنة 133هـ/751م؛ وأشار على خصائصه المميزة له؛ وأنه على نوعين ما كان غير ذي علامة مائية وتحديد أليافه وخطوطه الممددة والمسلسلة، وما كان ذا علامة مائية؛ كما أشار إلى أنواع الورق المستخدم في كتابة المخطوطات الإسلامية؛ مثل الوَرَق المصبُوغِ والمظَلَّلِ والورق المرَقَّشِ والمجَزَّعِ (الإبرو).[2]

وفي الفصل الثالث قام ديروش بدراسة علمية لكراسات المخطوط وأنواعها المختلفة وكيفية تركيبها، وبعض الحالات الشاذة لشكل الكراسات، والفرق بين الكراسات الرقية والكراسات الورقية؛ ولاحظ وجود كراسات مختلفة تمزج بين الرق والبردي، أو بين الرق والورق؛ لغرض الاستفادة من مقاومة الرق في الأماكن الظاهرة والاستفادة من رخص الورق باستخدامه في المواضع غير الظاهرة؛ ثم تناول أشكال الكراسات المختلفة واستخداماتها.[3]

أما الفصل الرابع الذي اشترك في كتابته ديروش ومحمد عيسى ولي وبرنارد جينو؛ فكان حول آلات صناعة الكتاب من أدوات النُسَّاخِ والمصورين والمزينين؛ كالقلم وصناعته؛ والسكين المخصص لبري القلم، والمقط الذي يقط عليه السن، والمحبرة أو الدواة والليقة الذي تلاق به المحبرة لتجنب رسوب المداد، والمصقلة التي يصقل بها المداد بعد الكتابة، والمسطرة التي ترسم بها الخطوط...إلخ.

وتطرق محمد عيسى ولي في هذا الفصل إلى أدوات المصورين والمزينين؛ كالمصقلة والفرشاة والمراسم، والأمدة والأحبار؛ وقد استعمل المسلمون نوعين منها: المداد الأسود المكون على أساس كربوني، والآخر المكون من عنصر عفصي ومن ملح معدني؛ ويسمى الأول مدادا والثاني حبرا.

وفي نفس الفصل اشترك ديروش مع برنارد جينقييق جيدون وآني فرناي نوري في دراسة المواد الملونة في المخطوطات المغربية، من القرن السادس الهجري إلى القرن التاسع الهجري وذلك لمجموعتين من مخطوطات تحتفظ بها المكتبة الوطنية الفرنسية؛ الاولى تضم نسخا للقرآن الكريم ونسخة من موطأ

الإمام مالك وكتاب ابن تومرت وجغرافية الإدريسي؛ أما المجموعة الثانية فهي قطع من أربع مصاحف كتبت ثلاثة منها خارج المغرب قبل الفترة التي كتبت فيها مخطوطات المجموعة الأولى.

كما قاموا بتحاليل مخبرية وكيماوية لمعرفة مكونات الحبر والورق واستملوا الأشعة السينية.[1]

وفي الفصل الخامس؛ تناول فيه فرانسوا ديروش التسطير وإخراج الصفحة؛ من ضبط للسطور وقياس أبعادها، واستغلال الهوامش ، والفرق بين النصوص النثرية والشعرية.

وفي الفصل السادس؛ ناقش ديروش عمل النساخ والخطاطين والوارقين والمذهبين والمزمكين، و أماكن عملهم.[2]

وفي الفصل السابع؛ تعرض ديروش إلى الخطوط وأشكالها باعتبارها المحمول الذي كتبت بها المخطوطات؛ فتطرق إلى نشأة علم الباليوغرافيا وتطور شكل الخط، والخطوط المميزة للمصاحف المتقدمة؛ وظهور الخط الوراقي أو خط التحرير الذي كانت تكتب به المخطوطات غير القرآنية؛ وهذا الخط هو الذي نال تجويدا فيما بعد من ابن مقلة وابن البواب في القرن الثالث والرابع للهجرة.[3]

وفي الفصل الثامن الذي كتبه ديروش بالاشتراك مع محمد عيسى ولي ؛ تحدثا عن فنون تزويق الكتاب، وأهمية زخرفة المخطوطات، والأشكال المختلفة لتزيين المخطوط وتذهيبه؛ وارتباط الزخارف والتزيينات بالنص بحيث تعين القارئ على السفر عبر النص، وميزت الدراسة بين زخرفة المصاحف وباقي الكتب الأخرى.[4]

وفي الفصل التاسع الذي كتبه ديروش مع الفصل الذي يليه؛ فعرض فيه إلى التجليد؛ وهو آخر مراحل صناعة الكتاب المخطوط، والفرق بين التجليد العربي والتجليد الإفرنجي خاصة في الكعب وأطراف المجلد والخيط الذي يجعله القارئ دليلا أثناء المطالعة؛ وقسمه إلى ثلاثة مجموعات كبيرة؛ كما ذكر بقية عناصر التجليد ومواده؛ كالبطانة والرشم وقوالب النقش(الأختام) والتخزيم والحبك(الخياطة) وأنواع الزخارف الموجودة سواء على الدفة أو اللسان.[5]

مجلة التراث المخطوط - جامعة الجزائر 2014

وفي الفصل العاشر؛ تعرض إلى تاريخ النسخة، كما نبه إلى أن حرود المتن تعد السبيل الوحيد لتحديد التأريخ الصحيح للمخطوط، بحيث نجد الناسخ يعرف بنفسه ويذكر تاريخ الانتهاء من كتابة النسخة أو المكان الذي عمل فيه.

ويوجد حَرْدُ المتن في نهاية النسخة؛ وتكتب بصيغة: تم، فرغ منه، وافق الفراغ ، كَمُلَ...ونادرا ما يذكر في الحرد مكان النسخ، ويستخدم التقويم الهجري في التأريخ للنسخة، وقد يستخدم حساب الجمل في التأريخ للنسخة.

وفي حالة غياب حرود النص يلجأ إلى علامات التملك والوقف والقُيُودُ والأختام التي ظهرت في أزمان متأخرة في إيران والهند والأتراك؛ بحيث تحتوي على أسماء ملاكها وشعارات مختلفة تساعد في تحديد مكان وزمان النسخة.[1]

وفي الفصل الأخير؛ الذي كتبه آني برتييه تناول فيه بالدراسة علاقة الكوديكولوجيا بتاريخ المجموعات وأرصدة المكتبات؛ وذلك بجمع معلومات عن تداول المؤلفات منذ عصر صناعتها وإعادة بناء سلسلة مالكي مخطوط أو مجموعة من المخطوطات، ومعرفة الأماكن التي جاءت منها أو استقرت فيها.[2]

ثم إن هذه الدراسة مزوَّدة بكشاف للمفاهيم والمصطلحات الفنية بحسب وجودها في الدراسة؛ وكذا المخطوطات المستشهد بها وأماكن وأرقام حفظها؛ وفهرس للمصادر والمراجع التي كتب منها البحث، ثم شرح لرسوم صفحات العناوين، ثم إهداءات الصور الفوتوغرافية، وذكر مجموعة من الدول والقبائل الآسيوية، وذكر قائمة كبيرة من المصطلحات والكلمات المتعلقة بالكوديكولوجيا وترجمتها الفرنسية والإنجليزية والعربية لتختتم الدراسة بالرموز والاختصارات التي وردت فيها.[3]

القيمة العلمية للكتاب.

رغم المجهود الكبير الذي قام به الباحث الفرنسي فرانسوا ديروش في تتبع مجموعة كبيرة من المخطوطات العربية، ودراسة طريقة تجليدها وتسطيرها وتذهيبها والأمدة والأحبار إلا أن هذا العلم لا يزال بكرا وفي بداياته الأولى ويحتاج إلى توسيع الدراسة لتشمل عددا أكبر من المخطوطات؛ و تتمثل قيمة العلمية في كونه بحا استغرق زمنا كبيرا؛ تظافرت فيه مجهودات كبيرة من فريق عمل في كل التخصصات ومن مكتبات كثيرة؛ ممن هم مختصون في هذا المجال؛ ولكن هذا لا يعني تتبع هذا العمل

وتمحيصه وتمييز سقيمه من صحيحه حتى يغدو هذا الفن الوليد قائما على قدمين راسختين؛ ويشير ديروش إلى محدودية معارفهم في هذا الباب فيقول:"إن محدودية معرفتنا ظاهرة، ولكن الخوف من ذهاب ثمرة التجربة التي اكتسبها البعض على مدار السنين دون أن تترك أثرا، يجب أن تؤخذ كذلك في الاعتبار؛ إن ذكريات بحوثنا المترددة بسبب افتقاد الدليل لم تكن بدون تأثير على تكوُّن هذا الكتاب".[1]